

تفسير ابن كثير

لما ذكر تبارك وتعالى مآل السعداء ثنى بذكر حال الأشقياء ومرجعهم ومآبهم في دار معادهم وحسابهم فقال D : { هذا وإن للطاغين } وهم الخارجون عن طاعة الله المخالفون لرسول الله صلى الله عليه وسلم { لشر مآب } أي لسوء منقلب ومرجع ثم فسره بقوله جل وعلا : { جهنم يصلونها } أي يدخلونها فتغمرهم من جميع جوانبهم { فيئس المهاد * هذا فليذوقوه حميم وغساق } أما الحميم فهو الحار الذي قد انتهى حره وأما الغساق فهو ضده وهو البارد الذي لا يستطيع من شدة برده المؤلم .

ولهذا قال D : { وآخر من شكله أزواج } أي وأشياء من هذا القبيل : الشيء وضده يعاقبون بها قال الإمام أحمد : حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد B عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : [لو أن دلوا من غساق يهراق في الدنيا لأنتن أهل الدنيا] ورواه الترمذي عن سويد بن نصر عن ابن المبارك عن رشدين بن سعد عن عمرو بن الحارث عن دراج به ثم قال لا نعرفه إلا من حديث رشدين كذا قال وقد تقدم في غير حديثه ورواه ابن جرير عن يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب عن عمرو بن الحارث به . وقال كعب الأحبار : غساق عين في جهنم يسيل إليها حمة كل ذات حمة من حية وعقرب وغير ذلك فيستنقع فيؤتى بالادمي فيغمس فيها غمسة واحدة فيخرج وقد سقط جلده ولحمه عن العظام ويتعلق جلده ولحمه في كعبيه وعقبه ويجر لحمه كله كما يجر الرجل ثوبه رواه ابن أبي حاتم وقال الحسن البصري في قوله تعالى : { وآخر من شكله أزواج } ألوان من العذاب وقال غيره كالزهرير والسموم وشرب الحميم وأكل الزقوم والصعود والهوي إلى غير ذلك من الأشياء المختلفة المتضادة والجميع مما يعذبون به ويهانون بسببه .

وقوله D : { هذا فوج مقتحم معكم لا مرحبا بهم إنهم صالوا النار } هذا إخبار من الله تعالى عن قيل أهل النار بعضهم لبعض كما قال تعالى : { كلما دخلت أمة لعنت أختها } يعني بدل السلام يتلاعنون ويتكاذبون ويكفر بعضهم ببعض فتقول الطائفة التي تدخل قبل الأخرى إذا أقبلت التي بعدها مع الخزنة من الزبانية { هذا فوج مقتحم } أي داخل { معكم لا مرحبا بهم إنهم صالوا النار } أي لأنهم من أهل جهنم { قالوا بل أنتم لا مرحبا بكم } أي فيقول لهم الداخلون { بل أنتم لا مرحبا بكم أنتم قدمتموه لنا } أي أنتم دعوتمونا إلى ما أفضى بنا إلى هذا المصير { فيئس القرار } أي فيئس المنزل والمستقر والمصير { قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار } كما قال D : { قالت أوراها لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون } أي لكل منكم عذاب بحسبه }

وقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار * أتخذناهم سخرى أم زاغت عنهم الأبصار { هذا إخبار عن الكفار في النار أنهم يفقدون رجالا كانوا يعتقدون أنهم على الضلالة وهم المؤمنون في زعمهم قالوا مالنا لا نراهم معنا في النار قال مجاهد : هذا قول أبي جهل يقول مالي لا أرى بلالا وعمارا وصهيبا وفلانا وفلانا وهذا ضرب مثل وإلا فكل الكفار هذا حالهم يعتقدون أن المؤمنين يدخلون النار فلما دخل الكفار النار افتقدوهم فلم يجدوهم فقالوا { ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار * أتخذناهم سخرى } أي في الدار الدنيا { أم زاغت عنهم الأبصار } يسألون أنفسهم بالمحال يقولون أو لعلمهم معنا في جهنم ولكن لم يقع بصرنا عليهم فعند ذلك يعرفون أنهم في الدرجات العاليات وهو قوله D : { ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين * الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة كافرون * وبينهما حجاب وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون * وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين * ونادى أصحاب الأعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون * أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون } وقوله تعالى : { إن ذلك لحق تخاصم أهل النار } أي إن هذا الذي أخبرناك به يا محمد من تخاصم أهل النار بعضهم في بعض ولعن بعضهم لبعض لحق لا مرية فيه ولا شك